

المؤرخ وليام الصوري

للدكتور عمر كمال توفيق

كان لوليام رئيس أساقفة كنيسة صور ، أهميته كرجل من كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية في الشرق ، كما كانت له مكانته المرموقة بين رجال الدولة المشولين في مملكة بيت المقدس الصليبية . إلا أن شهرته في العصور التالية لعهدده قد قامت على أساس إنجازاته كـ «كورخ» ، هذا بالرغم من ضياع بعض مؤلفاته في التاريخ . ومهما يكن من أمر فإن تاريخه الكبير الذي وصل إلى أيدينا والذي اشتهر بإسم :

“Historia rerum in partibus transmarinis gestarum”

أى «تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ماوراءالبحر» يحتل مكانة عظيمة الأهمية بين مصادر تاريخ الحروب الصليبية . وقد جرى العرف على اعتبار كتاب وليام المذكور الأصل الذي تفرع منه أدب الحروب الصليبية ، مع اعتبار ان الجذور وجدت فيما سبقه من المؤلفات ، وان الفروع كانت الكتب التي وضعها المؤرخون اللاحقون مع عدم ذكر أسمائهم واعتبروها ملاحق أو منبيلات على تاريخ وليام (١) .

والواقع ان محاولة دراسة حياة وليام وتكوين صورة كاملة لها ليس أمراً سهلاً . وقد تطلب هذا العمل جهود عديد من العلماء ، بدأت من القرن السادس عشر واستمرت حتى يومنا هذا . (٢) وترجع هذه الصعوبة

(١) أنظر J. L. La Monte “Some Problems in Crusading Historiography” *Speculum*, xv (1940), 60.

(٢) أنظر: قائمة الدراسات المختلفة لـ وليام الصوري في William of Tyre, *History of Deeds Done Beyond The Sea* (Trans. E. A. Babcock & A.C. Krey, New-york, 1943), vol. I, p.p. 5-6.

للنقص في المعلومات التاريخية التي جاءت عن حياته ، الأمر الذي اضطر الباحثين للاعتماد إلى حد كبير على الشذرات والاشارات المحدودة التي جاءت في التاريخ الذي وضعه .

ولد وليام في مملكة بيت المقدس الصليبية حوالي سنة ١١٣٠ م . والظاهر أن نشأته كانت في مدينة بيت المقدس نفسها . ومن المحتمل أن أبويه كانا قد نزحوا من إحدى بلاد غرب أوروبا ، ولو أننا لا نستطيع أن نجزم برأى نهائي في ذلك (١) . فإن وليام الذي وضع في تاريخه أنساب الآخرين وأصولهم لم يدل بشيء عن عائلته وأصلها . ولكن تدل الشواهد على أن وليام أمضى السنوات الأولى من حياته في فلسطين ، والمرجح أنه استقر به المقام في بيت المقدس . فإن ما رواه عن صباه عرضاً ، إنما يتركز بأكمله في هذه المدينة ، التي يظهر من تاريخه معرفته الوثيقة بشوارعها ومبانيها المختلفة . وقد أتاحت له معيشته في هذه الانحاء الفرصة لكي يتقن عدداً من اللغات . فألم بالفرنسية وهي لغة البلاط الصليبي ، والعربية التي كانت تستعمل بكثرة في محيط التبادل التجاري إلى جانب اللغة الفرنسية . ويظهر كذلك أن وليام كانت له دراية باللغة اليونانية التي انتشر استعمالها في الشرق بحكم صلة الجوار المباشر مع الامبراطورية البيزنطية التي كانت لها اتصالات متنوعة مع الصليبيين وشعوب الشرق الأدنى الاسلامي . وفضلاً عن ذلك فيبدو أن وليام كان على الأقل على بعض العلم بلغات أخرى مثل العبرية والفارسية . وكانت اللاتينية بطبيعة الحال هي لغة الكنيسة والمدارس في المملكة اللاتينية . وان إتقان وليام الواضح لهذه اللغة مما يشهد بأنه تلقى تعليماً ممتازاً .

وقرر وليام ، على ما يبدو ، منذ مرحلة مبكرة في حياته العمل في السلك الكنسي . ويتضح من تاريخه أن الشخصية الرئيسية التي أثرت فيه في صباه كان بطريرك القسطنطينية الذي كان يشغل منصب رئيس الرهبان الناحقين

(١) بخصوص مناقشة الآراء المختلفة في أصل أسرة وليام انظر المرجع السابق

بكنيسة الضريح المقدس من سنة ١١٣٠ إلى سنة ١١٥٨ م ، أى الزمن الذى يرتبط بالسنوات الخمس والعشرين الأولى من حياة وليام . وكان المعهد الدينى الذى رأسه بطرس مخصصاً باعداد التساوسة وتعليمهم . وأظهر وليام حينئذ من المثابرة والشغف بتحصيل العلم ما قر به من أساتذته وخاصة بطرس السالف الذكر .

ولابد أن وليام وجد في بيت المقدس فرصة طيبة لتلقى تعليمه الدينى . فقد تجمع هناك عدد من العلماء الذين كانوا في غالييتهم من الزائرين الذين وافدوا من غرب أوروبا لقضاء فريضة الحج والعودة بعدها . كما كان منهم المتقلمون في العمر الذين جاءوا إلى هذه البلاد عاقدين العزم على قضاء ما تبقى من حياتهم في الأراضى المقلمة تيمناً بها . وقد ضمت الديرية عدداً من الأفضاء المشتغلين بالعلم مثل جيوفرى ريمس معبد السيد المسيح الذى اكتسب شهرة لتعمقه في دراسة اللغة اليونانية . وهكذا أتاحت الفرصة لوليام الصورى لكي يستفيد من هؤلاء العلماء سواء أكان ذلك بالاختلاط بهم في الديرية أو المنظرات الكنسية أو أثناء التردد على الأضرحة المختلفة وزيارتها . ولابد أن بطرس البرشلونى قد تولى الاشراف على تعليم تلميذه وليام وتوجيهه .

ومن المعروف أن وليام بعد أن قطع مرحلة طيبة من التعليم والاعداد اللازم ، أصبح من رجال الكهنوت التابعين لرتب اساقفة كنيته صبور . ويتضح ذلك من احدى الوثائق المؤرخة في سنة ١١٦١ م ، ولو أن المصادر لم تبين على وجه اللقمة متى تم ذلك . هذا وتبل أن تبدأ سنة ١١٦٣ م ، قرر وليام عبور البحر الأبيض المتوسط والذهاب إلى غرب أوروبا ليواصل دراسته هناك ، الأمر الذى اشار اليه إشارة عابرة في تاريخه (١) . وكان حينئذ في بداية العقد الرابع من عمره . والمرجح انه أثناء اقامته في الغرب اهتم بشكل خاص بدراسة القانون ، الذى أصبح أمراً لازماً لمن يهيا لشغل منصب دينى

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠١

كبير ، وذلك لازدياد أعباء رجال الدين وتشعب مسئولياتهم (1) . ومن المؤكد أن وليام كان لا يزال يتابع دراسته في الغرب عندما أعتلى الملك عموري عرش بيت المقدس . وكانت عودة وليام إلى البقاع المقدسة في خريف سنة ١١٦٣ م على وجه التصريب .

ولا يعرف الكثير عن تفاصيل حياة وليام في السنوات الأربع التي تلت عودته إلى المملكة الصليبية . ونحن من المعروف أن أستاذه بطرس الذي أصبح رئيساً لاساقفة كنيسة صرقد مات ، وتلاه في منصبه رجل يعرف باسم فريدريك ، لم يكن على شاكلته ، ولم تكن علاقة وليام به طيبة . ويظهر أن عمل وليام اقتصر في ذلك الوقت على أداء الواجبات العادية التي يقوم بها رجل الكنيسة . وربما اقتصرت بالحانب انقائوني من أعمالها ، هذا في الوقت الذي أخذ يتطلع فيه ليصبح رئيساً لاساقفة إحدى الكنائس الهامة أو بطريرك المملكة الصليبية .

ومنذ سنة ١١٧٦ م ، بدأ وليام مرحلة جديدة من حياته أخذت أسمه فيها في الارتفاع ، وكان ذلك على أثر بداية ارتباطه بخدمة عموري . فإن هذا الملك كان شغوفاً بقراءة التاريخ مهماً بمتابعته . وقد أراد أن يسجل عهده وأحداثه خاصة وأنه اختصرت في ذهنه فكرة فتح البلاد المصرية ، الأمر الذي يعد بالنسبة للصليبيين أكبر مشروع لهم بعد الاستيلاء على بيت المقدس وإقامة المملكة الصليبية في الشام . وهكذا فقد أراد عموري أن يسجل له التاريخ ما يحققه من أمجاد . وعلى ذلك قرر أن يختار رجلاً كفواً يكلفه بكتابة تاريخه ، وقد وقع اختياره على وليام ، وكان موفقاً في هذا الاختيار . حقيقة أن وليام لم يتلق فيها سبق التدريب اللازم للسرور ، إلا أنه كان يزر كثيرين من أقرانه من رجال الكنيسة في القدر الذي ناله من التعليم . كما عرف عنه أسلوبه الأدبي الرقيق والالمام بعهده لغات . والظاهر أن وليام كان متردداً في أول الأمر في الاضطلاع بهذه المهمة الجديدة خشية أن يجحد عن هدفه

(1) A. C. Krey, "The Making of An Historian In The Middle Ages" Speculum, xv 1 (1941), 149-66.

الأصلى وهو الترقى فى سلك الكهنوت . ومهما يكن من أمر فقد قبل هذا العمل ، وعينه عمورى رئيساً لشمامسة كنيحة صور ، كما خصص له راتباً أكبر من الراتب المعتاد الذى يتقاضاه من يشغل هذا المنصب .

وهكذا بدأ وليام وهو فى مرحلة منتصف العمر عمله كقورخ . وقد اقبل على ذلك بكل حماسة ونشاط وتقدير للمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه . وقد واصل نشاطه فى كتابة التاريخ بشكل شبه مستمر منذ سنة ١١٦٧ وهى السنة التى بدأ فيها حتى سنة ١١٨٤ م وهى التى توفى فيها عن الكتابة قبيل موته . الا أن عمل وليام ، فى هذه المرحلة من حياته لم يقتصر على كتابة التاريخ فقد عهد اليه المسؤولون بالملكة الصليبية بمهام أخرى كذلك . الا أن هذه المهام ، وان كانت قد اضافت إلى ما تحمله من اعباء ، فإنها جعلته على اتصال وثيق بأحداث المملكة الصليبية وأخبارها . فعلى أثر الاتصال بين وليام وعمورى ، ازداد تقدير الأخير لمؤرخه ، حتى انه لما بدأ فى التفاوض مع الامبراطور البيزنطى بغرض القيام بحملة مشتركة لغزو مصر ، أرسل عمورى وليام إلى القسطنطينية لاتمام عقد الاتفاقية الصليبية البيزنطية . وقد أتاحت هذه المهمة لوليام فرصة التعرف عن كسب على عاصمة الامبراطورية البيزنطية . ونجح فى مهمته هذه . كما أن وليام اضطرته بعض المسائل الكنسية للسفر إلى روما عقب ذلك . وازادته اقامته هناك فى معرفة البلاط البابوى وسياسته . وللنجاح الذى احرزه وليام فى أكثر من عمل ، ازدادت ثقة عمورى به حتى لقد كلفه سنة ١١٧٠ بتعليم ابنه وولى عهده بولدوين الذى كان فى التاسعة من عمره . وأصبحت رعاية هذا الأمير الصغير إحدى مسؤوليات وليام ، الذى ازدادت له بذلك فرص الاتصال بالملك وحاشيته واستقاء المعلومات عن أحداث الدولة التى كان يؤرخها . وفى نفس الوقت نشأ بين وليام والأمير بولدوين تعاطف وتقدير متبادل ظهرت نتائجه بعد اعتلاء الأخير للعرش .

وفى سنة ١١٧٤ م ، مات الملك عمورى ، وله من العمر ثمان واربعون سنة ، وفقد وليام بذلك صديقاً عزيزاً عليه . كما أن خلفه وهو بولدوين

الرابع ، تلميذ وليام ، لم يكن قد بلغ بعد سن الرشد ، إذ كان لا يزال في الثالثة عشرة من عمره . ولم يكن يولدوين قد أتم تعليمه كما كان ضعيفاً جسدياً لاصابته بالجذام . ونتيجة لذلك فقد استأثر بالسلطة والاشراف على شئون المملكة أحد النبلاء الصليبيين وهو ميلون دى بلانسي ، الذي عده وليام أسوأ مستشاري الملك الراحل . إلا أن هذا الأمير قد اغتاله بعض اعدائه في خريف نفس السنة . (١) ووقع الاختيار بعد ذلك على ريموند الثالث أمير طرابلس ليكون وصياً على الملك . وقد عين هذا الأمير مؤرخنا وليام الصوري مستشاراً للمملكة . (٢) وتبع ذلك تنصيبه رئيساً لأماقة كنيسة صور في ٦ يونيو ١١٧٥ م . وهكذا أصبح لوليام مركزاً هاماً في شئون كل من الدولة والكنيسة في المملكة الصليبية . وفضلا عن ذلك فعندما بلغ يولدوين الرابع السن القانوني ليأمر سلطته سنة ١١٧٦ ، انتهت وصاية ريموند ، وصار وليام المنتشر الأول للملك .

وأصبح من المتوقع إذذاك أن وليام سيخلف أمالريك الذي اشتد به المرض ، في المنصب الديني الأكبر في المملكة ألا وهو منصب بطريرك بيت المقدس . وكان هذا هو الأمل الأكبر لوليام الذي بدأ حياته على أساس الخدمة والترقي في سلك الكهنوت . وكان من البوادر التي أظهرت ذلك تعيين وليام على رأس الوفد الديني الذي أرسل إلى روما سنة ١١٧٨ م بناء على دعوة البابا (٣) . وقد وفق وليام في مهمته ولفت نظر البابا بكفاءته ونشاطه حتى لقد كلفه بمهمة خاصة في القسطنطينية ، والمرجح أنها تعلق بموضوع محاولة التوحيد بين كنيسة روما والقسطنطينية ، الأمر الذي لا بد وقد شجعته ميول الامبراطور مانويل اللاتينية .

(١) William of Tyre, op. cit, II, 401

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٠٢ - ص ٤٠٤

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٣٦

الا أن وليام على أثر عودته إلى المملكة الصليبية (حوالي سنة ١١٨٠) قد أصيب بخيبة أمل فيما يتعلق بالحصول على منصب البطريرك ، كما أن نفوذه السابق أخذ في الضعف والاضمحلال . إذ أن تدهور صحة الملك بولدوين أدى إلى إثارة موضوع تعيين وصي على العرش . وقد اختلف نبلاء المملكة في ذلك وقامت جماعتان متنافستان ، الأولى وتتكون من الأمراء القدامى وعلى رأسهم ريموند أمير طرابلس ، والأخرى وهي جماعة البلاط وأهم شخصياتها الأميرة سيبيليا أخت بولدوين ووريثة العرش وزوجها جى لوسيان المغامر الفرنسي والمملكة الأم أجلس . وكانت تلك الجماعة الأخيرة تعتمد على مجموعة من النبلاء الغربيين حديثي العهد بالأراضي المقدسة ، وتمكنت هذه الجماعة من التغلب والاستئثار بالسلطة . وحيث أن وليام كان معروفاً بانصافه بريموند ومعارضته لجى لوسيان ، فلم يجد معاملة حسنة من جانب المسؤولين الجدد . وهكذا فعندما مات البطريرك أمالريك في ٦ أكتوبر سنة ١١٨٠ م ، تحطت جماعة البلاط وليام بالرغم من كفاءته المعروفة ، وعينت هرفديوس رئيس أساقفة قيسارية في المنصب الشاغر (١) . وهكذا أغلق دون وليام باب الترقى في السلك الكنسي في المملكة . وفضلا عن هذا وبالرغم من أنه من الناحية الرسمية كان لا يزال مستشار المملكة فإنه عومل بإهمال وأصبح لا يعرض عليه من الأمور الا القليل النادر وفي المناسبات الضرورية . وهكذا فبعد أن كان في سنة ١١٧٨ أكثر موظفي المملكة نفوذاً فإنه بعد عودته إلى بلاده كعاد أن يصبح مسلوب السلطة والنفوذ .

ولم يكن وليام راضياً عن أحداث المرحلة الأخيرة من حياته . ففي الرقت الذي هدد فيه الصراع الداخلي بين جماعتي البلاط والنبلاء القدامى بتصدع وحدة المملكة الصليبية ، كان السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي يقوم بتجميع قوى المسلمين وبعد العدة للمعركة الفاصلة ضد الصليبيين . ونحن لا نعرف على وجه التحديد تاريخ وفاة وليام . ويرى المؤرخ كرى أنها كانت

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٥١

قبل شهر مايو سنة ١١٨٥ م ، بناء على أن في هذا التاريخ عين نائب وليام ليخلفه كستشار مملكة بيت المقدس (١) . أما رانسمان فيقول أن وليام بعد فشله في الحصول على منصب البطريرك اعتزل إلى روما سنة ١١٨٣ ومات هناك قبل سنة ١١٨٧ م (٢) . وعلى أية حال فقد كانت وفاة وليام في العقد التاسع من القرن الثاني عشر الميلادي وكان ذلك قبيل حدوث موقعة حطين واسترجاع المسلمين لمدينة بيت المقدس .

ومهما يكن من أمر ، فإن وليام بحكم المناصب التي شغلها والاعباء التي اضطلع بها قد اتاحت له فرصة طيبة لمعرفة بواطن الأمور في المملكة الصليبية ودراسة أحوالها ومشاكلها . وقد مكنته ذلك كله من الاجادة في كتابته التاريخية . والواقع أن كتابه الذي وصل إلى أيدينا والذي اشتهر باسم «تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحر» جاء كثمرة نهائية لانتاجه التاريخي . وقد قام وليام أصلا بوضع ثلاثة كتب في التاريخ ، وهي حسب الترتيب الزمني في تأليفها :

- 1) أعمال الملك عموري "Gesta Amalrici regis"
- 2) أعمال مملكة بيت المقدس "Gesta Hierosolymitanorum regum"
- 3) أعمال الأمراء الشرقيين "Gesta orientaliu principum"

وبشأن الكتاب الأول وهو «أعمال الملك عموري» الذي شرع في تأليفه بناء على رغبة الملك عموري ، فلا ندرى عما اتخذه وليام من خطوات في أول أمره ليلم بكيفية كتابة التاريخ . ولكن من المعروف أنه أخذ يستجرب قادة الصليبيين الذين اشتركوا في الحملة الأولى التي قام بها عموري على مصر ويستفسرهم عما شاهدوه من أحداث . كما أن وليام اعتنى بدراسة ما سمعه

(١) William of Tyre, vol. I, p. 52

(٢) S. Runciman, A History of The Crusades (Cambridge, 1952) vol. (٢)

ومحصه جيداً . وإن وزنه للأمر إذ ذلك يذكرنا بعمل القاضي اللقيط .
ويغلب على الظن انه كان يكتب نتائج بحثه بعد ذلك مباشرة . وبما يلاحظ
في هذا المجال اهتمام وليام بإدراج عدد من المسائل المتعلقة بمحملات عموري
على مصر ، ومن أهمها خصائص البلاد المصرية وخصال أهلها . وقد أعطى
صورة تفصيلية للحياة في بلاط الفاطميين في القاهرة بالشكل الذي وجدها
عليه الصليبيون . هذا ولم يفت وليام أن يوضح أهمية مركز مدينة الاسكندرية
ونشاطها التجاري (١) .

والظاهر أن اثناء محاولة وليام لوضع بداية تاريخ « أعمال الملك
عموري » اقتضت له وللملك الحاجة إلى كتاب في التاريخ يوضح أحداث
المرحلة السابقة لتاريخ مملكة بيت المقدس الصليبية، منذ أن توقف المؤرخ
فولشير الشارترى حوالي سنة ١١٢٧ م . بل ان المؤلفات التاريخية السابقة
أصبحت لا تكفي لاشباع رغبة الصليبيين في التعرف على أحوال بلادهم
حيثئذ . ويبدو أن عموري الشغوف بقراءة التاريخ ، ووليام المصطلع بالكتابة
عن عصر عموري ، قد رأيا أنه من الضروري وضع كتاب آخر في تاريخ
المملكة في عهدها السابق بدءاً من أخبارات القرن الحادى عشر . وشرع وليام
في تصنيف هذا الكتاب الذى عرفه في ثنايا كتاباته بإسم تاريخ « أعمال
مملكة بيت المقدس » . ولا بد أن مؤرخنا قد واجه في ذلك ما يواجهه
المؤرخون الذين يحاولون الكتابة عن عهد سابق . فقد اضطر للاعتماد في
تصنيف الجزء الأول من الكتاب على مادونه المؤرخون السابقون . إلا أنه
خالف غالبية مؤرخى العصور الوسطى في طريقة الاعتماد على المصادر
السابقة . فهو لم يكتف بالاعتماد على مصدر واحد ، بل كان يرجع عادة في
معالجة الحدث الواحد إلى عدة مصادر ، ان توافرت ، ويقارنها ثم يبدى رأيه
الخاص إذا اقتضى الأمر ذلك . والمعروف أنه كانت تحت تصرفه المصادر الخاصة
بتاريخ الحقبة السابقة مثل « أعمال الفرنجة » ومؤلفات ريموند الأجيلى وولتر

(١) بشأن وصف وليام لبلاد مصرية وأهلها انظر :

William Of Tyre, op. cit vol. II, pp. 315-17, 319-20, 329-331, 335-337

المستشار وفولشير الشارترى . هذا وكان وليام حريصاً بقدر إمكانه في عدم تقبل الروايات ذات الطابع الاسطوري أو التي تغلب عليها صبغة المبالغة .

ولقد أحرز وليام تقدماً في كتابة التاريخين السابقين الذكر ، بالرغم من تحمله مسئولية تربية ابن الملك . هذا وقد عهد اليه عموري بعبء جديد في تدوين التاريخ . فإن هذا الملك أراد معرفة المزيد عن تاريخ المسلمين في عصورهم السابقة . ولابد أن عظمة الحضارة التي شاهدها في مصر عند قيامه بحملاته عليها ، قد حركت في نفسه الرغبة للتعرف على المزيد . ولذا فقد حث وليام على أن يكتب تاريخاً عن حكام الشرق وإنجازاتهم منذ عصر النبي محمد حتى عهد وليام . ولكني يسهل عليه القيام بهذه المهمة أمده بعدد من الكتب العربية ، والمرجح أن هذه الكتب كانت أصلاً من مكتبة الأمير العربي أسامة بن منقذ التي صادرها الملك بولدوين الثالث عندما غرقت المركب التي كانت تحملها على مقربة من مدينة عكا (١) . وقد نص وليام بالذات على استعانةه بكتاب المؤرخ العربي سعيد بن البطريق . وفضلاً عن ذلك فلا بد أن وليام وجد في مدينة صور فرصة للحصول على المزيد من أخبار المسلمين وتاريخهم . فقد وجد في هذه المدينة في عصر وليام مساجد هامة يؤمها المسلمون وعلمائهم . وأشار الرحالة ابن جبير الذي زار صور سنة ١١٨٤ م وامضى بها بعض الوقت ، إلى ما لاحظته بها من العلاقات والتعايش السلمى بين المسلمين والصليبيين (٢) . وكان هذا التاريخ الذى وضعه وليام عن المسلمين هو الذى عرف بإسم : أعمال الأمراء الشرقيين . إلا أن هذا الكتاب قد فقد ولم يصل إلى أيدينا .

(١) تحدث أسامة عن استيلاء الصليبيين على مكتبة القيصة التي كانت ، طبقاً لتقديره ، تتكون من أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة . وقد اعتبر فتحها نصارة كبرى فقد كتب في ذلك : «فإن ذهابها حزازة في قلب ما حدث» .

انظر : أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار . (ت. نيليب حتى . الولايات المتحدة ، ١٩٣٠) ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) رحلة ابن جبير (ت. حسين نصار . القاهرة ، ١٩٥٥) ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .

ومهما يكن من أمر ، ففى سنة ١١٨٢ م ، ووليام فى السنوات الأخيرة من عمره ، كان كتابه «أعمال مملكة بيت المقدس» قد أوْشك على الانتهاء ليكون بداية لكتاب «أعمال الملك عمورى» . وقد قرر وليام حينئذ ادماج الكتابين ليكرنا كتاباً واحداً جامعاً فى تاريخ مملكة بيت المقدس ، وشرع فى تنفيذ ذلك. وكان هذا الكتاب الجديد هو الذى عرفه المؤرخون فيما بعد باسم «تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر» . وقد تبين وليام وهو فى مرحلة تصليف هذا الكتاب الأخير ، الذى أراد أن يجعله مرجعاً للمسيحيين عامة للتعرف على تاريخ المملكة الصليبية ، ضرورة إضافة بعض المعلومات إليه . ولذا تخير له بعض الأجزاء من كتاب «أعمال الأمراء الشرقيين» . كما ادرج شيئاً عن تاريخ بيت المقدس منذ سقوطها فى أيدي الفرس سنة ٦١٤م حتى التبشير بالحملة الصليبية الأولى لاسترجاعها فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . هذا وقد زود وليام هذا الكتاب الجديد بعدة فقرات عن المعارف الجغرافية والأثرية . ولا بد أنه عند قراءة بعض الموضوعات التى دونها من قبل قد أعاد كتابتها على ضوء معلوماته وخبرته النامية . وفضلاً عن ذلك كله ، فإنه دمج مقدمة قيمة لهذا الكتاب سنة ١١٨٤ م . والمرجع أن هذه المقدمة كانت آخر ما أضافه وليام إلى كتابه الذى سجل أهم أحداث عصره حتى السنة المذكورة .

ونحن إذا أردنا الحكم على عمل وليام كتؤرخ ، فمن أول ما يستلفت النظر فى هذا الصدد هو هذا التخدم الملحوظ الذى أحرزه هذا الرجل فى نهج الكتابة التاريخية مع ممارسة هذا العمل . فع مرور الوقت إزدادت قدرته على نقد المصادر وتمحيصها ، كما أصبح أكثر اهتماماً بالجواهر دون التفاصيل . هذا وإذا كان وليام فى أول الأمر لما أمسك بقلمه ليكتب التاريخ ، يعمل على تلبية رغبة مليكه عمورى الذى كان يرغب فى تمجيد حكمه ، فإنه بعد موت هذا الملك قد تغيرت مكانة وليام فى المملكة الصليبية وتغيرت بالتالى طريقة معالجته للتاريخ . فبعد أن أصبح مستشاراً للملك الجديد ، إزداد شعور وليام بالمسئولية وانضح ذلك فى كتاباته . وأصبح يقصد من ورائها نوعاً من

التوجيه والارشاد في شئون الدولة . ثم أن بعد أن تغلبت جماعة البلاط واستأثرت بالسلطة ، وضعف على أثر ذلك نفوذ وليام ، عدل مؤرخنا في أسلوبه في الكتابة . إذ أصبح يكتب للمسيحيين الكاثوليك عامة ، بغرض العمل على خدمة مصالح المملكة التي ينتسب اليها الا وهي مملكة بيت المقدس الصليبية ، وتأمين بقاؤها . وقد وضع في كتابه كل ما اكتسبه من دراية وخبرة للاستفادة .

وكان وليام يميل للزراعة والانصاف في كتابته وأحكامه . وبصفة عامة نستطيع أن نقول انه لم يخضع للتعصب العنصرى أو الدينى أو الطبقي على النحو الذى حدث للعالية الكتاب الاوربيين المعاصرين . وقد قام في عدة مواضع بامتداح أفراد من اللاتين والبيزنطيين بل كذلك المسلمين ومثال ذلك وصفه للملك العادل نور الدين محمد بأنه رجل حكيم فطن (١) . فكان وليام على استعداد للاعتراف بمميزات المسلمين وما قام به بعضهم من أعمال مجيدة . كما أظهر وليام اهتمامه ببيان مظاهر الحياة اليومية والصناعات والعمارة والحياة الاجتماعية ، هذا إلى جانب المسائل العسكرية والكنسية والدبلوماسية وسائر شئون الدولة .

ولقد نبأ وليام بفضل كتاباته مكانة مرموقة بين المشتغلين بالأدب اللاتينى في العصور الوسطى . وتميز أسلوبه بالتزام اللقطة في مراعاة قواعد النحو ، كما كان يتسع بثروة لغوية كبيرة . ويدل تاريخ وليام على إلمامه بالأدب الكلاسيكى وتذوقه له . ويتضح هذا بشكل خاص في الاجزاء التي وضعها في سنواته الأخيرة . وقد اقتبس وليام في عدة مواضع من مؤلفات فيرجيل وأوفيد وشيشرون وغيرهم .

والمسائل الرئيسية التي نأخذها على تاريخ وليام خطوه في تحديد سنى الأحداث . حقيقة أن معظم الحوليات التي وضعت في العصور الوسطى لم تسلم من هذا الخطأ ، الا أنه كان على نطاق كبير نسبياً في تاريخ وليام . حقيقة

William of Tyre, op. cit. vol. II, p. 146 (١)

انه كان دقيقاً في الترتيب الزمني للأحداث المتعلقة بموضوع واحد . الا أن مشكلته قامت عندما كان يكتب عن موضوعات مختلفة لا ارتباط بينها إلا التقارب الزمني . ولا بد أن بعض هذا الخطأ الذي وقع فيه وليام يرجع لعدم تلقيه في الأصل التدرج المنظم للكتابة في التاريخ . ومن أسباب ذلك أن وليام لم يعتد كما يبدو ، تحويل التقويم المسيحية والهجرية التي جاءت في المصادر المختلفة التي رجع إليها ، إلى نظام موحد . والظاهر انه لم يقين ضرورة اتفويت بين التقويم المختلفة إلا في مرحلة متأخرة من حياته وذلك عندما أخذ يصف تاريخه الكبير جامعاً بين كتابيه الأول والثاني وأجزاء من كتابه الثالث . وقد حاول بعض المؤرخين المتحمسين لوليام تبرئته من مسئولية هذا الخطأ ، مثل المؤرخ ستيفنسن الذي قال ان الحساب الزمني الذي جاء في تاريخ وليام إنما كان من وضع كاتب آخر في فترة تالية (1) . ولكن بالاطلاع على ما جاء في مقدمة هذا الكتاب التي وضعها وليام ، نقين بشكل واضح مسئولية هذا المؤرخ عن خطئه المذكور .

ومهما يكن من أمر ، فإن كتاب وليام الذي اشتهر باسم «تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحر» يشغل مركزاً رئيسياً بين المصادر اللاتينية التي وصلتنا عن تاريخ الحركة الصليبية . فهو المصدر الرئيسي عن العصر الممتد من سنة ١١٢٧ حتى سنة ١١٨٤ م . كما أنه بطريقته الخاصة في معالجة تاريخ المرحلة السابقة على سنة ١١٢٧ قد أصبح ملحفاً هاماً للمصادر السابقة عليه . ولقلمه هذا الكتاب التي وضعها وليام في آخر أيامه ، أهمية خاصة في تقدير عمله كمورخ . فقد ضمن في هذه المقدمة خلاصة تجربته في كتابة التاريخ ووضع وليام فيها الصعاب التي تواجه المؤرخ وجسامه المسئولية الملغاة على عاتقه . ونص على ضرورة مراعاة الدقة والأمانة المطلقة في أداء هذا العمل . وبالرغم من أسلوبه الأدبي الرفيع بالنسبة لكتاب عصره ، فقد شعر وليام بحساسية شديدة وخشى ألا يكون أسلوبه متناسباً مع أهمية الموضوعات

(1) W. B. Stevenson, The Crusaders In The East, Cambridge, 1907; pp. 361-71.

التي تصدى للكتابة عنها . كما بين في هذه المقدمة البواعث التي دفعته على تصنيف هذا الكتاب ، من جهة لوطنه وحرره ، على تسجيل أخطاره وتجاربه لينفع بها الخلف ، لرغبته في تلبية طلب الملك عموري . هذا وقد أشار وليام إلى مشكلة عدم توفر المصادر . ووضح كذلك النهج التاريخي الذي اتبعه في وضع هذا الكتاب ، من حيث تقسيمه إلى أبواب ، والموضوعات التي تناولها . كما بين صعوبة مهمة المؤرخ حين لا يكون متضرعاً لعمله . وفيما يلي نقدم ترجمة كاملة لنص المقدمة المذكورة .

من وليام الذي أصبح بنعمة الرب ، خادماً كنيسته صور المقلمة ، وهو غير متاهل لذلك ، إلى الموقرين إخوته في المسيح الذين قد يصلهم هذا الكتاب خلاصاً أبدياً في الرب .

إن أي رجل حكيم لا يستطيع أن يشك في أن الكتابة عن أعمال الملوك أمر شاق حافل بالمسئولية والاختطار . وإذا ما تغاضينا عما يتطلبه مثل هذا الواجب من العمل والمثابرة الدائبة واليقظة المستمرة فهناك لا محالة هوتان تفغران فيما أمام كاتب التاريخ ، ولا يمكنه أن يتفادى هذه أو تلك إلا بكل صعوبة . ففي الوقت الذي يحاول فيه أن يهرب من كاريلديس ، فإنه يقع في محال سيللا ، التي تحيط بها كلامها وتدرك تماماً كيف توقع بالمرء (١) . فهو أما يشر غضب الكثيرين عليه ، بتابعته طبيعة الانجازات البهيمية ، أو أملا منه في التخفيف من حدة السخط ، يفتزم الصمت حين تتابع الأحداث ، ومن الواضح أنه في هذه الحجة الأخيرة لا يكون قد سلم من الوقوع في الخطأ إذ أن من المسلم به تماماً أن التغاضي عن ذكر الحقيقة الواقعة للأحداث واختفاء الأمور عمداً ، أمر ينافي واجب المؤرخ . وإن فشل المرء في واجبه خطأ بدون شك ، وذلك إذا ما حددنا الواجب بأمانة بأنه : « تكليف مصلح

(١) كاريلديس Charybdis دوامة مائية خطيرة في مضيق مسينا الذي يقع بين إيطاليا وصقلية . وتقف سيللا Scylla على صخرة خطيرة أمامها . وسيللا هذه كما تروي الأساطير القديمة ، كانت حيواناً انثو له اثنتا عشرة ذراعاً وست رقاب . وقد اعتبر القدامى كلام كاريلديس وسيللا خطراً مهلكاً .

كل فرد بما يتلادم مع تقاليد بلاده ونظمها ، . ولكن من ناحية أخرى ، فإن اقتفاء أثر الوقائع ، وعدم التغيير فيها أو عدم الحيد عن طريق الحقيقة هو مسلك يؤدي دائماً إلى إثارة الغضب . فإن الحكمة القديمة تقول : «المخارة تكسب الأصدقاء ، والصدق يستجلب الكراهية » ؛ وعلى ذلك كله ، فإن المؤرخين إما أن يقصروا في واجب مهنتهم بإظهار المخارة غير اللائقة بهم ، أو أنهم يبحثهم الجاد عن حقيقة الأمر يضطرون لتحمل الكراهية ، التي هي وليدة للذكر الحقيقة . وهكذا فن الشائع جداً أن هذين الطريقتين قد درجا على مقابلة الواحد منهما للآخر ، والتعادل فيما يتسببان فيه من المشاكل فتهدجة لمطالبتهما الضرورية .

وقد جاء في كنمات شيشروننا : «قول الحق أمر مكدر لما ينجم عنه حقيقة من الكراهية التي تسم الصداقة . ولكن المخارة أخطر في جلب النوايب ، لأننا بالترفق في معاملة الصديق ، نسمح له بالاندفاع نحو الهلكة (1) وهذه عاطفة تغلب على المرء الذي يجافي مقتضيات الواجب ، فيخفي الحقائق من أجل أن يكون جميلاً .

أما أولئك الذين ينسجون الأكاذيب عمداً في سجل تاريخهم وذلك رغبة منهم في الخلق ، فإن مسلكهم يعتبر أمراً بغيضاً ، ويجب ألا يقتموا إلى طائفة المؤرخين . فإنه إذا كان من الخطأ والتقصير في واجب الكاتب أن يخفي حقائق الانجازات الواقعة ، فمن المؤكد أنه لأتبع إنمأ إذا لبس الزيف بالحق وألقى إلى الخالفين الذين يأتمنونه ما هو غير صحيح في أساسه على أنه أمر حقيقي .

وفضلاً عن هذه الصداق ، فإن كاتب التاريخ تواجهه صعوبة أخرى مماثلة أو أشد مشقة ، وعليه أن يحاول تجنبها قدر الامكان . ونقصه بذلك أن أهمية الأحداث التاريخية قد تتعرض للتشويه بسبب سوء العرض والافتقار

(1) أنظر : Cicero, De Amic xxiv, 89

وما يجدر بنا ملاحظته أن رجوع وليام إلى كتابات شيشرون في هذا الموضع وغيره من المواضع ، ما يدل على إلمامه بالأدب الكلاسيكي .

إلى البيان . وإن أسلوب المؤرخ يجب أن يكون على نفس المستوى العالى للأعمال التى يتصدى لها . هذا ويجب ألا تنزل لغة الكاتب ومحتة عن أهمية موضوعه . ولذلك فإن مما نخشاه كثيراً ، أن يضعف سوء المعالجة أهمية الموضوع ، وقد تبدو الأعمال الهامة ذات القيمة الجوهرية غير ذات شأن وتافهة بسبب الخطأ فى عرضها . وكما لاحظ الخطيب المرموق فى الحوار السكولى الأول : «ان تدوين الأفكار الانسانية دون القدرة على تنسيقها وعرضها بشكل واضح ، واجتذاب القارئ بأية طريقة مشوقة ، لم يعمل رجل جاهل يسمى إلى الأدب ، ولا يحسن استغلال وقت فراغه» .

ويبدو أننا وقعنا فى كتابنا هذا فى عياض وحيرة ذات جوانب متعددة لأننا أدرجنا فى هذه الدراسة التى نقوم بها الآن ، على ما يشتضيه تتبع أوقائع وتسلسلها ، كثيراً من التفاصيل عن صفات الملوك وميرهم واتجاهاتهم الشخصية ، بنض النظر عما إذا كانت هذه الحقائق حميدة أو موضعاً للتجريح . ولقد يجد الخائفون لهؤلاء الملوك ، أثناء تصفحهم لهذا الكتاب ، صعوبة فى تقبل ما ورد به ، ويغضوبون على المؤرخ فى موضع لا يلام عليه وسوف يعتبرونه كاذباً أو غيراً . ولقد حاولنا تجنب التهمتين كليهما تجنب الضاعون ما دام الرب موجوداً .

وفى عدا ذلك ، فلا ريب أننا جازفنا بالقيام بعمل يفوق استعدادنا بمراحل . وكان مستوى أسلوبنا لا يتناسب بأى حال مع أهمية الموضوع . إلا أننا قد أنجزنا فى ذلك شيئاً ما . ونحن فى ذلك كالرسامين المبتدئين الذين لم يقفوا على أسرار الفن بعد ، والذين لا يسمح لهم خالباً إلا بمجرد وضع الخطوط الأولى للصورة واستعمال الألوان الأولية . ثم تضيف بعد ذلك يد رسام أكثر خبرة ، لمسات الجمال الأخيرة ، عن طريق استعمال ألوان أكثر رقياً . وهكذا ، فقد سلكنا بلقطة طريق الحق ولم نخذ منه مطلقاً . ولقد

(1) Cicero, Tusculan Disputation, I, III, 6,

اقمنا بجهد غير قليل ، الأمس قد يشيد عليها رجل آخر أكثر منا علماً ، بناء أدق إتقاناً بفضل براعته في عمله .

وحيال هذا العديد من التعقيدات والأخطار الخافية التي تحيط بهذه المهمة ، كان من الأمل جداً لو التزمت الصمت . وكان الأحرى أن أمسك لساني وأجبر قلبي على السكوت . ولكن دفعني إلى ذلك حبي الجارف لوطني . فإن المرء ذا النزعات الوطنية يضحى بحياته في سبيل وطنه حين يدعو داعي الزمن إلى ذلك . وأكرر أن الوطن استحقني على ذلك . ويفضل ماله من سلطان ، فقد قضى أن تلك الأمور التي حققها في نحو قرن من الزمان ، يجب ألا تدفن بهدوء أو يسمع لها بأن تدخل في طي نسيان لا يليق بها ، بل وعلى العكس ، فقد أمرني — الوطن — بالمحافظة عليها عن طريق المثابرة في استملاك قلبي ، وذلك من أجل نفع الخلف . وبناء على ذلك ، فقد امتلنا لمشيته ، ووضعنا أيدنا في عمل لا يليق بنا أن نرفضه . ونحن لا نأبه كثيراً بما يكون عليه نقد الخلف لنا ، أو ما يصيدرونه من حكم على أسلوتنا الضعيف في الكتابة أثناء معالجة هذا الموضوع المجيد . ولقد لبنا النداء حقاً ، ونرجوا أن تكون ثمرة عملنا نافعة بقدر ما صاحبه من حماسة ، كما نرجوا أن تكون جديرة بالثناء بقدر ما كرس لها من جهد . فقد اجتذبتنا صحر أرض وطننا فأقبلنا على هذا العمل ، على ما في قدرتنا من نقص ، وما يتطلبه العمل من جهد ، وبدون الاعتماد على مساعدة أي مؤرخ نابه .

وفضلاً عن هذه الحوافز ، فلقد أمرني بذلك الملك عموري الأول ، ذو الذكرى المحيطة وصاحب السجل المرموق في خدمة الرب ، رحم الله روحه المقتسة . وإن هذا الأمر ، مع الأسباب الهامة الأخرى ، دفعني على وضع هذا الكتاب . كما أننا قد ألفنا كتاباً آخر في التاريخ ، بناء على رغبة الملك الذي أمدهنا بالوثائق العربية اللازمة (١) . وكان مصدرنا الرئيسي في هذا المصنف كتاب بطريرك الامكندرية المجلد سعيد بن البطريق . وكتابنا

(١) يشيرونا هنا الى تاريخ ، اعمال الامراء اشرفيين .

هذا ، يبدأ من عهد النبي والكذاب محمد ويمتد خلال خمسمائة وسبعين سنة حتى عامنا الحاضر وهو ١١٨٤ بعد ميلاد المسيح .

وعلى أية حال ، فلم يتوافر لدينا أى مصدر أغريقي أو عربى للاعتماد عليه فى مصنفنا الحالى (١) . وباستثناء بعض الوقائع التى عاينها بأنفسنا فقد اعتمدنا على الأحاديث المنقولة . وتبعنا الترتيب الزمنى للأحداث . وبدأ كتابنا برحيل هؤلاء الرجال والقادة الشجعان المقربين للرب ، تلبية لندائه ، وخروجهم من ممالك الغرب ، وانزاعهم بأيديهم القوية أرض الميعاد ومعظم بلاد الشام . وبدءنا من هذه النقطة تبعنا التاريخ بكل أمانة لمدة أكثر من أربعة وعشرين عاماً ، حتى عهد بولدوين الرابع ، الذى يحل المكان السابع فى قائمة الملوك ، إذا ما أدخلنا فى الاعتبار الورد جودفرى ، الذى بدأ الحكم هناك بنقب دوى . ولكنى نيسر على من يريد أن يحصل على معلومات أكثر شمولاً عن حالة البلاد الشرقية ، فقد يبدأ فى مطلع كتابنا فى إنجلترا ، أوضاعها وهى تحت نير العبودية وما تحمكه من آلام مبرحة . ووصفنا كذلك أحوال المؤمنين - المسيحيين - الذين أقاموا فى هذا الحين بين الكفرة فى هذه البلاد ، ثم ما حدث عقب ذلك . فبعد تلك المرحلة الطويلة من العبودية أيقظت هذه الأوضاع أمراء ممالك الغرب ليضطاموا بمهمة الحج بغرض تحرير أخوتهم (٢) .

وإذا كان للقارىء أن يقلد ما ألقى على عاتقنا من أعباء ، لتبين له أننا نؤمن بالمسؤوليات العديدة . فأولاً علينا مسئولية كبيرة ممثلة فى مهام كنيسة صور الشهيرة القائمة تحت رعاية الرب ، والتى وقع الاختيار علينا لرئاستها ، بنعمة الرب ، لا بفضل جدارتنا . وعلينا ثانياً عبء خدمة مولانا الملك الذى تشغل فى قصره المقدس منصب المستشار . وهناك كذلك مشاكل أخرى عاجلة تظهر من وقت إلى آخر وتتطلب منا الاهتمام . وإذا ما كانت هذه الحقائق

(١) يقصد التاريخ وليام بهذا الصنف تاريخ الأفعال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر .

(٢) هذه حادثة من الحوادث العديدة التى أشار فيها المؤرخون لغربيون المعاصرون إلى

الحملات الصليبية باسم الحج .

موضوع اعتبار ، فيجدر بالقارىء ، بل ويحتمل له ، أن يكون أكثر ميلا
للتسامح معنا إذا ما وجد في هذا الكتاب ما يؤاخذنا عليه . فإن المرء عندما
يكون منشغلا بمسائل كثيرة متباينة ، يتعدى على ذهنه أن يواجه كلا منها
ويعنى الفكر فيها بنفس القوة والاهتمام . ومن المحال أن يكرس المرء جهداً
كبيراً لكل موضوع حين يكون الاهتمام مشتتاً على هذا النحو . هذا غير الحال
التي يكون فيها النشاط الفكرى مخصصاً كلية لأمر واحد . وفي مثل هذه
الظروف ، لا يكون كثيراً على المرء أن يكون حقيقاً بالصفح .

ولقد قسمنا المصنف إلى ثلاثة وعشرين كتاباً ، وكلا من هذه الكتب
إلى عدد معين من الفصول حتى يسهل على القارىء الحصول على ما يبحث
عنه في أجزائه المختلفة . وفي عزمنا ، إذا قدر الرب لنا البقاء ، أن نضيف
من وقت لآخر ، إلى ما كتب من قبل ، الأحداث المعاصرة التي قد تبرز
أهميتها تطورات المستقبل . وسوف نزيد كذلك في عدد الكتب بحكم ما قد
يقضيه حجم المادة الموضوع .

ونعتقد ، ونحن غير عخطين في اعتقادنا ، أن هذا الكتاب ، يشهد على
عدم خبرتنا . فإننا عند تدوينه ، رغبة في اطاعة ما تحياه العاصفة ، أظهرنا
من القناص ما كان من المحتمل أن يبقى خافياً ، لو أننا التزمنا الصمت .
ومهما يكن من أمر ، فإننا نؤثر أن نبدوا مفتقرين إلى ما يجلب الاطراء بدل
أن نقصر في خدمة العلم . وأن كثيرين ممن يأتون إلى العرس ، دون أن يتحلوا
بالصنعة الأولى ، يعتبرون أهلاً للجلوس إلى مائدة المنك . ولكن أولئك الذين
يحضرون بين الضيوف دون أن تتوافر لهم الصفة الأخرى ، فإن عليهم أن
يسمعوا الكلمات الآتية : وكيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس (١)
ولعل الرب القادر وحده على أن يمنع ذلك برحمته الكريمة ، يحول دون
وقوعنا في هذا المصير .

(١) أشد وإهام هذه العبارة من الانجيل في موضوع استكمال شرائط الايمان الحقيقي . انظر ،

ومهما يكن من أمر ، فنحن ندرك جيداً أن الخطأ قرين دائم للضرورة
الاطتاب ، وأن لسان العبد المسكين الثماني يكتبه في الذنب . وعلى ذلك ، فإننا
بروح المحبة الأخوية ، ندعو قارئ كتابنا ونستحثه بإسم المسيح ، أنه إذا
وجد نقطة جديرة بالنقد ، ألا يتردد في نقدها ولكن برحمة حقيقية . فهو
بتصحيح خطيئتنا سوف ينال لنفسه ثواب حياة خالدة (١) .

ولعل - القارئ - يذكّرنا في صنواته ، وبذلك يحقق لنا شناعة عند
المسيح ، حتى أننا كلما وقعنا في خطأ في هذا الكتاب لم يوردنا ذلك مورد
الهلاك . ولعل مخلص العالم - المسيح - بفضل إحسانه الوفي ، ورحمته
التي لا تغفل ، يغفر لنا بكرمه . فإننا كمخادم بائس وغير ذي نفع في بيته
نشعر بالحاح ضميرنا في لومنا ، ونحز محزون في الخوف من حساب الرب .

(١) اعترف ولبام هنا بالجهل وقومته في الخطأ أثناء كتابته ، وما يشهد بخصوصه كما لم ، وهذا
أمر غير شائع لدى الكتاب الأوروبيين في المصور الوسطى . بل إن المؤرخ جريجوري التوري قد
قد استنزل المعنة على كل من يذم ولو سطر واحد في تاريخه .